ياسين بن علي

خروج الوهابية
على الخلافة العثمانية

(قراءة تاريخية ومناقشة شرعية)

www.azeytouna.net

١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م

"فنّ التاريخ ... هو في ظاهره لا يزيد على إخبار...
وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات
الوقائع وأسبابها عميق".

عبد الرّحمن بن خلدون

فهرس المحتويات

- مقدّمة ص٦
- معنى الوهابية ص٧
- سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابتداء دعوته ص١٠
- بيعة الدرعية ص١٤
  - مناقشة بيعة الدرعية ص١٧
- أدوار تاريخ الدولة الوهابية/السعودية ص٢٤
- نظام الحكم في الدولة الوهابية/السعودية الأولى ص٢٦
  - شكل الدولة ص٢٧
  - من هو حاكم الدولة الأولى؟ ص٢٨
- موقف الخلافة العثمانية من الوهابية ص٣٤
- موقف العلماء من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ... ص٤١
  - موقف العلماء بين الغلو والإنصاف ص٤٧
- علاقة الشيخ ابن عبد الوهاب ببريطانيا ص٥٠
- علاقة آل سعود ببريطانيا ص٥٤
  - الدولة الثالثة ص٥٤
  - الدولة الثانية ص٦٨
  - الدولة الأولى ص٧٨
- هل خرج الوهابية على الخلافة العثمانية؟ ص٩٧
  - دفع شبهة أولى: ما جاء في دعاوى المناوئين..... ص٩٧

– دفع شبهة ثانية ص١١٣
– علاقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأشراف مكة ص١١٧
– رسالة الشيخ ابن عبد الوهاب إلى الشريف ص١٢٢
– رسائل عبد الله بن سعود إلى الخليفة العثماني ص١٢٤
- الخلاصة وبيان أنّ سبب خروج الوهابية هو التكفير ص١٣٣
- تكفير أغلب الناس والمجتمع والدار والدولة ص١٤٤
– شهادة علماء مكة والمدينة ص١٥٧
– مصطلحات ابن غنّام وابن بشر ص١٦١
– حال نجد قبل دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب ص١٦٥
- تكفير الدولة العثمانية ص١٦٨
- هل كانت الدولة العثمانية دولة إسلامية؟ ص١٨٣
- المصادر والمراجع ص١٩٥

مقدّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد، فقد سبق أن نشرت بحثا في موقع "مجلة الزيتونة" بعنوان: "مناقشة شرعية لسبب خروج الوهابية على الخلافة العثمانية"، وعلى خلاف المقصود فقد طال البحث وتشعّب؛ لذلك رأيت أن أجمعه في كتاب بعنوان "خروج الوهابية على الخلافة العثمانية: قراءة تاريخية ومناقشة شرعية"، لعلّه يكون مرجعا لمن أراد البحث في هذه المسألة، فيسهل عليه الرجوع إليه والاستفادة منه.

وموضوع الكتاب – كما يظهر من عنوانه – يتعلّق أساسا بمسألة تاريخية ولا يتطرّق بتفصيل إلى فكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي لا زال ممتدا إلى زمننا هذا ويتبناه جمع من المسلمين. ففكر الشيخ ابن عبد الوهاب – وبخاصة رؤيته العقدية – من الفكر الإسلامي الذي يجب علينا دراسته بموضوعية ونزاهة لنقف على نقاط الصواب والخطأ فيه. وهذا يحتاج إلى بحث منفصل قد أقوم به – بإذن الله تعالى وعونه – في يوم من الأيام.

هذا، وقد بحثت في تاريخ الحركة الوهابية بموضوعية فلم أنقل إلا عن مصادر تاريخية معتمدة، وعن كتب أئمة الدعوة الوهابية.

وأسأل الله عزّ وجلّ أن يرينا الحقّ حقّا ويرزقنا إتّباعه، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

معنى الوهابية

"الوهابية" – نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥هـ/١٧٠٣م – ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م)– حركة إصلاحية دينية سياسية ظهرت في القرن ١٢هـ الموافق للقرن ١٨م في منطقة نجد وسط شبه الجزيرة العربية. قال الدكتور عبد الله العثيمين: "كلمة "الوهابية" ذاتها... صفة يطلقها كثير من الدارسين على أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقيدة، وعلى الذين لبوا دعوته وانضموا إلى الدولة التي قامت على أساسها في وسط الجزيرة العربية، كما تطلق على عقيدة ذلك الشيخ ودعوته أو حركته. ومن الواضح أن النسبة في الكلمة، وإن تكن أقرب إلى اسم والد الشيخ من اسم الشيخ نفسه، نسبة صحيحة من الناحية اللغوية. ذلك أنها لا تختلف مثلا عن نسبة الحنبلية إلى أحمد بن حنبل"[1].

ويرى بعض الناس أنّ مصطلح "الوهابية" غير صحيح ولا يعبّر عن الحركة وإنما يراد به تشويهها، وهو ما عبّر عنه الملك عبد العزيز آل سعود "في خطابه الذي ألقاه في القصر الملكي بمكة، يوم غرة ذو الحجة عام ١٣٤٧هـ الموافق ١١ مايو عام ١٩٢٩م بعنوان (هذه عقيدتنا) جاء فيه قوله: يسموننا "بالوهابيين" ويسمون مذهبنا "الوهابي" باعتبار أنه مذهب خامس، وهذا خطأ فاحش، نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثّها أهل الأغراض"[2]. ولكن سبق لمطبعة المنار بمصر أن طبعت بأمر الملك عبد العزيز آل سعود نفسه – سنة ١٣٤٢هـ –

---

[1] بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، ص١١

[2] نقلا عن تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، للدكتور محمد بن سعد الشويعر، ص١٣٢

كتاب "الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية لجميع إخواننا الموحدين من أهل الملة الحنيفية والطريقة المحمدية" لسليمان بن سحمان النجدي (ت١٣٤٩هـ). فعنوان الكتاب الذي طبع بأمر الملك عبد العزيز يقرّ استعمال مصطلح "الوهابية" بل أكّده صاحب الكتاب بقوله في مقدّمته: "... حقيقة ما عليه أهل الإسلام الموحدين من أهل نجد المشهورين بالوهابية..."[٣]، وأكّده أيضا الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت١٣٦٧هـ) بقوله في الكتاب نفسه: "... وصار بعض الناس يسمع بنا معاشر الوهابية ولا يعرف حقيقة ما نحن عليه..."[٤]. وفي قصيدة عنوانها "كيد الأثيم" افتخر الشيخ سليمان بن سحمان بالانتساب إلى الوهابية قائلا[٥]:

نعم نحن وهّابيّة حنفيّة ... حنيفيّة نسقي لمن غاظنا المرّا

وللعلم، لم يطلق الوهابيون الأوائل على أنفسهم أو حركتهم اسما بل كانوا يصفون أنفسهم بـ"المسلمين" و"الموحدين" كما جاء في تاريخ ابن غنّام (ت ١٢٢٥هـ) وابن بشر (ت١٢٩٠هـ) وغيرهما. قال الدكتور منير العجلاني: "استعمل المؤرخان النجديان ابن غنام وابن بشر كلمة "المسلمين" في تسمية أتباع الدولة السعودية الأولى عامة، ومقاتلتها خاصة، وربما أطلقا عليهم اسم "الموحدين" أيضا، وكلا التسميتين تبدو اليوم غريبة.. وكأن فيها لونا من ألوان التحدي للآخرين والشكّ في صحة معتقداتهم.. كانوا يطلقون على أنفسهم

---

[3] ص٣

[4] ص٩٢

[5] ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان، ص٩٠

اسم "المسلمين" – أو "الموحدين" – يختصون به قومهم دون غيرهم، حتى أزالوا معالم الشرك والشركيات، وقضوا على الجهل والخرافات، وبذلك تحققت مقاصد الدعوة، ولم تبق اليوم حاجة – في اعتقادنا – إلى هذا التخصيص الذي كان يقترن بمرحلة معينة من التاريخ"[٦]. وقال الدكتور عبد الله العثيمين وهو ممن استعمل مصطلح "الوهابية" في كتابه: "أما أنصار دعوة ابن عبد الوهاب؛ خاصة فيما مضى، فإنهم لا يرضون بالتسمية المشار إليها، وإنما يسمون أنفسهم ودعوة إمامهم تسميات أخرى. فأحيانا يسمون أنفسهم المسلمين، ويسمون الدعوة التي لبّوها دين الإسلام. وأحيانا يستعملون صفات أكثر التصاقا بطبيعة الدعوة، فيطلقون على أنفسهم اسم الموحدين، ويطلقون على دعوتهم دعوة التوحيد، أو الدعوة السلفية، أو الدعوة فقط... ولكن عددا قليلا من التابعين لدعوة ابن عبد الوهاب، أو المتعاطفين معها، بدأوا في السنوات الأخيرة لا يتحاشون استعمال كلمة "الوهابية" في كتاباتهم. ويبدو أن هذا الموقف جاء نتيجة اعتقاد هؤلاء بأن ما كان يدعو إليه ذلك الشيخ قد بات واضحا بدرجة كبيرة..."[٧]. وقال مسعود النووي: "... هذا الاسم منتقد أشدّ الانتقاد، ولكن بغض النظر عن هذه الأكذوبة والافتراء، فلا أرى حرجا في هذه التسمية".[٨]

وعليه، فإننا نرى أنّ أدقّ مصطلح يمكن استعماله للتعبير عن هذه الحركة وتمييزها عن غيرها هو مصطلح "الوهابية"، وبخاصة إذا كان الحديث عنها يتعلّق بزمن نشأتها وظهورها.

---

[6] تاريخ البلاد العربية السعودية، الدولة السعودية الأولى، ج٢ ص٢٧٩

[7] بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية ص١١-١٢

[8] نقلا عن: دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية، لأحمد الحصين، ص٣٨٢

سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابتداء دعوته

"ينتمي الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أسرة آل مُشرف، من فروع آل وُهبة، أحد بطون قبيلة تميم. فهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد بن بُريد بن محمد بن بُريد بن مشرف. كان جده سليمان عالماً من علماء نجد في القرن الحادي عشر الهجري. وتولى القضاء في روضة سدير. كما كان والده عبد الوهاب قاضياً في بلدة العيينة، ثم عُزل عام ١١٣٩هـ، وعين قاضياً لبلدة حريملاء. ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بيت علم، في بلدة العيينة، سنة ١١١٥هـ /١٧٠٣م. وتلقى تعليمه الأولي على يد والده، وحفظ القرآن الكريم، في صغره. كما درس الفقه والتفسير والحديث. ثم ذهب للحج. ومن مكة المكرمة، توجه إلى المدينة المنورة، ثم عاد إلى العيينة. وتميز محمد بن عبد الوهاب بقوة الذاكرة، والتعلق بالعلم. فانطلق طالباً المزيد منه. فرحل إلى مكة المكرمة ثانية، ومنها إلى المدينة المنورة، حيث حضر حلقات الدرس في الحرم النبوي للشيخ النجدي عبد الله بن إبراهيم بن سيف الذي شجعه على القراءة في الفقه الحنبلي. وتلقى العلم أيضاً من عالم الحديث الشيخ محمد حياة السندي المدني (توفي عام ١١٦٥هـ) الذي تأثر به محمد بن عبد الوهاب في الدعوة إلى التجديد، ومحاربة البدع في الدين، وما يؤدي إلى الشرك من الأعمال. وعاد محمد بن عبد الوهاب إلى بلدته العيينة ومكث بها عاماً. وتوجه إلى البصرة ليرضي نهمه في العلم. وفيها درس الفقه، وعلوم الحديث، وقواعد اللغة العربية. وفي البصرة التي كانت آنذاك تعج بالمذاهب والفِرق، آنس في نفسه القدرة على معارضة الأمور، التي كانت تجري على خلاف الشرع؛ وأن ينكر ما

يرتكب هناك من البدع التي تفضي إلى الشرك؛ وأن يشترك في النقاش حول التوحيد والعقيدة، مما أثار عليه بعض الأهلين وآذوه. ولهذا أجبر على مغادرة البصرة، فتوجه إلى الزبير، ومنها إلى الأحساء، حيث مكث بعض الوقت، واستفاد من علمائها، مثل عبد الله بن فيروز، ومحمد بن عفالق، وعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي. وخلال طلبه العلم، عكف الشيخ محمد بن عبد الوهاب، على دراسة كتب شيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية (المتوفى عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م). ودرس آثار تلميذه ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، وتأثر بهما كل التأثر، خاصة رأي ابن تيمية في ضرورة العودة في أمور الدين، إلى الكتاب والسُّنة، وما صح عن الصحابة من آثار؛ وتصحيح العقيدة وتنقيتها من بدع المتصوفة والمتكلمة. وتأثر به في محاربته للبدع والمنكرات، التي تؤدي إلى الشرك مثل الاستغاثة بغير الله، والتوسل بالأولياء والموتى، والاعتقاد أنهم يجلبون النفع، ويدفعون الضر. وكذلك التبرك بالأضرحة والأشجار وغير ذلك. وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب دائم التمثل بآراء ابن تيمية في كتبه ورسائله. ورجع الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى بلدة حريملاء، التي عُيّن أبوه قاضياً لها. وكان وصوله إلى نجد بين عامَي ١١٤٤هـ - ١١٤٩هـ/ ١٧٣١ - ١٧٣٦م..."[٩].

وقال الشيخ حسين بن غنّام – وهو ممن عاصر الشيخ ابن عبد الوهاب –: "... فأقام الشيخ محمد في حريملاء مع أبيه يقرأ عليه سنين، إلى أن توفي أبوه سنة (١١٥٣) ثلاث وخمسين ومائة وألف. فأعلن دعوته واشتدّ في إنكاره

---

[9] نقلا عن موسوعة مقاتل من الصحراء www.moqatel.com.

مظاهر الشرك والبدع، وجدّ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذل النصح للخاص والعام، ونشر شرائع الإسلام... فذاع ذكره في جميع بلدان العارض: في حريملا والعيينة والدرعية والرياض ومنفوحة... وانقسم الناس فيه فريقين: فريق تابعه وبايعه وعاهده على ما دعا إليه، وفريق عاداه وحاربه وأنكر عليه وهم الأكثر... فانتقل الشيخ من حريملا إلى العيينة ورئيسها يومئذ عثمان بن حمد بن معمر، فأكرمه وتزوج فيها الجوهرة بنت عبد الله بن معمر. ولما عرض على عثمان دعوته اتبعه وناصره، وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره. وكان في العيينة وما حولها كثير من القباب والمساجد والمشاهد المبنية على قبور الصحابة والأولياء، والأشجار التي يعظّمونها ويتبركون بها: كقبّة زيد ابن الخطاب في الجبيلة، وكشجرة قريوة وأبي دجانة والذيب. فخرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومعه عثمان بن معمر وكثير من جماعتهم إلى تلك الأماكن بالمعاول فقطعوا الأشجار وهدموا المشاهد والقبور، وعدلوها على السنة... ولم يزل الشيخ رحمه الله مقيما في العيينة: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعلم الناس دينهم، ويزيل ما قدر عليه من البدع، ويقيم الحدود ويأمر الوالي بإقامتها حتى جاءته امرأة من أهل العيينة زنت، فأقرّت على نفسها بالزنا، وتكرر ذلك منها أربعا... فأمر الشيخ رحمه الله الوالي برجمها لأنها محصنة... فخرج الوالي عثمان ابن معمر وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت... فلما جرت هذه الحادثة كثرت أقاويل أهل البدع والضلال، وطارت قلوبهم خوفا وفزعا، وانخلعت ألبابهم رهبا وجزعا. وتطاولت ألسنة العلماء عليه ينكرون ما فعل مع أنه لم يعد الحكم المشروع بالسنة والإجماع. فلما أعياهم ردّ ما أفحمهم به الشيخ من حجج، عدلوا إلى ردها بالمكر والحيلة، فشكوه إلى شيخهم سليمان آل محمد رئيس بني

خالد والأحساء، فأغروه به، وصاحوا عنده وقالوا: إن هذا يريد أن يخرجكم من ملككم، ويسعى في قطع ما أنتم عليه من الأمور، ويبطل العشور والمكوس. فلما خوّفوه بذلك كتب إلى عثمان بن معمر يأمره بقتله أو إجلائه عن بلده، وشدّد عليه...فلما ورد على عثمان كتاب سليمان استعظم الأمر فآثر الدنيا على الدين، وأمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالخروج من العيينة"[١٠].

وقال الدكتور عبد الله العثيمين: "وحين تقرر أن يترك محمد بن عبد الوهاب بلدة عيينة كانت الدرعية المكان المناسب لمقره الجديد. ذلك أن العلاقات بين هذه البلدة وبين حكام الأحساء كانت سيئة. وكان من المتوقع أن يرحبوا بمن وقفوا منه موقف عداء، لأنهم كانوا خصوما لهم قبل ذلك. وكان كثير من أعيان البلدة مؤيدين لدعوة الشيخ. ومن بين هؤلاء إخوة أميرها وابنه عبد العزيز. وحين قابل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الأمير محمد بن سعود في الدرعية أوضح له ما سبق أن أوضح لعثمان بن معمّر من تلازم الإصلاح الديني والإصلاح السياسي، كما أوضح له أن نجدا ميدان مفتوح أمامه لكي يمارس فيه نشاطه..."[١١]. وبعد حديث بينهما "تمّ الاتفاق والتحالف بينهما على العمل للدين الصحيح والرجوع إلى تعاليم الكتاب والسنّة وإنقاذ المسلمين من البدع والضلال وتعميم الدعوة. وعقد الأمير محمد بن سعود العزم على القيام بشدّ أزر الشيخ ونصرة الدعوة التي يدعو إليها"[١٢].

---

[10] تاريخ نجد ص٨٣- ٨٦

[11] بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، ص٢٣

[12] عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لحسين خلف الشيخ خزعل، ص١٦١

بيعة الدرعية

عرف الاتفاق الذي تمّ بين الشيخ ابن عبد الوهاب والأمير ابن سعود ببيعة الدرعية أو – بتعبير حسين خلف الشيخ خزعل – "البيعة الكبرى". وأمّا تفاصيل هذه البيعة وما ورد فيها من شروط فننقلها من ثلاثة مصادر:

– **المصدر الأول**: قال ابن غنّام: "فخرج الشيخ سنة سبع أو ثمان وخمسين ومائة وألف من العيينة إلى بلدة الدّرعية. فنزل في الليلة الأولى على عبد الله بن سويلم، ثم انتقل في اليوم التالي إلى دار تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم. فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود، قام من فوره مسرعا إليه ومعه أخواه: ثنيان ومشاري، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم فسلّم عليه، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده. فأخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دعا إليه، وما كان عليه صحابته رضي الله عنهم من بعده، وما أمروا به وما نهوا عنه، وأن كل بدعة ضلالة، وما أعزّهم الله به بالجهاد في سبيل الله وأغناهم به وجعلهم إخوانا. ثم أخبره بما عليه أهل نجد في زمنه من مخالفتهم لشرع الله وسنة رسوله وبالشرك بالله تعالى والبدع والاختلاف والظلم. فلما تحقّق الأمير محمد بن سعود معرفة التوحيد، وعلم ما فيه من المصالح الدينية والدنيوية، قال له: (يا شيخ إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه، فأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد؛ ولكن أريد أن أشترط عليك اثنتين: نحن إذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله، وفتح الله لنا ولك البلدان، أخاف أن ترحل عنا وتستبدل بنا

غيرنا، والثانية: أنّ لي على الدرعية قانونا آخذه منهم في وقت الثمار، وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئا). فقال الشيخ: (أما الأولى فابسط يدك: الدم بالدم والهدم بالهدم، وأما الثانية فلعلّ الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منهم). فبسط الأمير محمد يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد في سبيله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقرّ عنده"[١٣].

– **المصدر الثاني**: قال ابن بشر: "... فسار إليه محمد ابن سعود. ودخل عليه في بيت ابن سويلم فرحب به وقال: (أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعزة والمنعة). فقال له الشيخ: (وأنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين. وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم. فمن تمسك بها، وعمل بها، ونصرها؛ ملك بها البلاد والعباد. وأنت ترى نجداً وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة والاختلاف والقتال لبعضهم بعض. فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك). وجعل يشرح له الإسلام وشرايعه وما يحل وما يحرم وما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الدعوة إلى التوحيد والقيام في نصره والقتال عليه. فلما شرح الله صدر محمد بن سعود لذلك، وتقرر عنده، طلب من الشيخ المبايعة على ذلك، فبايع الشيخ على ذلك، وأنّ الدم بالدم والهدم بالهدم، وعلى أنّ الشيخ لا يرغب عنه إن أظهره الله. إلا أنّ محمد بن سعود شرط في مبايعته للشيخ أن لا يتعرضه فيما يأخذه من أهل الدرعية

---

13 تاريخ نجد، ص٨٦-٨٧

مثل الذي كان.. يأخذه رؤساء البلدان على رعاياهم، فأجابه الشيخ على ذلك رجاء أن يخلف الله عليه من الغنيمة أكثر من ذلك، فيتركه رغبة فيما عند الله سبحانه، فكان الأمر كذلك ووسع الله عليهم في أسرع ما يكون..."[١٤].

– **المصدر الثالث**: قال حسن بن جمال بن أحمد الريكي: "... فسمع محمد بن سعود بورود محمد بن عبد الوهاب، وكان قبل هذا قد سمع بصيته وإظهاره مذهبا جديدا فجاء إليه، وصافحه وقال: (هذه القرية قريتك والمكان أنت واليه، فلا تخشى [المحقق: اقرأ فلا تخش] أعداءك؛ والله لو انطبقت علينا جميع نجد ما أخرجناك عنا)، فقال: (أنت كبيرهم وشريفهم، أريد منك عهدا على أنك تجاهد في هذا الدين، والرياسة والإمامة فيك وفي ذريتك بعدك، وأنّ المشيخة والخلافة في الدين فيّ وفي آلي من بعدي أبدا، بحيث لا ينعقد أمرا ولا يقع صلحا ولا حربا [المحقق: اقرأها بالرفع لا بالنصب] إلا ما نراه كذلك، فإن قبلت هذا فأخبرك أن الله يطلعك على أمور لم يدركها أحد من عظماء الملوك والسلاطين، وتكون عاقبة أمرك محمودة عند الله لأنك اتبعت الدين ونصرته. ولم تقصر رتبتك عن رتبة الصحابة والخلفاء الذين نصروا رسول الله (ص) وأي منزلة أعلى من هذه)؟ فقال محمد بن سعود: (قبلت وبايعتك على ذلك). فتبايعا واشترط كل منهما على صاحبه ما اشترط عليه..."[١٥].

---

[14] عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١ ص٤٢– ٤٣

[15] لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، ص٣٠–٣١ بتحقيق الدكتور أحمد أبو حاكمة. ورجّح الدكتور عبد الله العثيمين في تحقيقه للكتاب (سنة ٢٠٠٥م طبعة دارة الملك عبد العزيز) أنّ كاتبه هو حسن الريكي.

مناقشة بيعة الدرعية:

تضمنت بيعة الدرعية التي تمت بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود جملة من الأمور الخطيرة، نذكر منها ما يلي:

١. ذكر ابن غنّام وابن بشر أنّ محمد بن سعود اشترط على الشيخ ابن عبد الوهاب أن لا يمنعه من أخذ "القانون" الذي كان يأخذه من أهل الدرعية أي أن لا يمنعه من أخذ الضرائب أو الخفارة وهو "ما يدفعه الضعيف للقوي ليحميه ويدافع عنه"[١٦]، ونفهم من هذا أنّ ابن سعود اشترط على الشيخ ابن عبد الوهاب أن يسمح له بأخذ المال الحرام وأكل مال الناس بالباطل، وهو ما فهمه الشيخ فردّ عليه بقوله –كما في تاريخ نجد لابن غنام –: "وأما الثانية فلعلّ الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منهم". وقد يفهم من هذا الردّ أنّ الشيخ ابن عبد الوهاب رفض الشرط، ولكنّ ابن بشر – وهو "عدل ثقة صادق الرواية واسع الإطلاع"[١٧]– ذكر عبارة ترفع الاحتمال والإبهام، قال: "فأجابه الشيخ على ذلك رجاء أن يخلف الله عليه من الغنيمة أكثر من ذلك، فيتركه رغبة فيما عند الله سبحانه". ويؤكّد محمد جلال كشك هذا الأمر بقوله: "ورواية ابن بشر أقرب للمنطق ولشعار "اعقلها وتوكل" وتؤكّد وعي الأمير السعودي بحقوق الملك ومقوماته.. ومرونة الشيخ وواقعيته"[١٨].

---

[16] كما في هامش تاريخ نجد ص ٨٧

[17] كما قال فيه الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله ابن عبد اللطيف آل الشيخ في مقدمة كتاب عنوان المجد، ج١ ص١١

[18] السعوديون والحل الإسلامي، ص١١٢

وجاء في رواية أخرى – وهي تؤكد نوع الشرط بصيغة صريحة لا تحتمل التأويل –: "فلما جاء محمد بن سعود وقال له: يا شيخ ما يكون لك قعود عندنا ولا مسكن، فأنا رجل متعوّد على أكل الحرام، وأنت عالم زاهد. هل عندك أن تفتينا؟ فقال له الشيخ محمد: نعم أنا أبقيك على ما أنت عليه من أكل الحرام وأنت تتركني أسكن عندك أقوّم الدين. فرضي ابن سعود بذلك"[١٩].

ومعنى هذا الكلام أنّ الشيخ ابن عبد الوهاب قبل الشرط، وسمح لابن سعود بأخذ المال الحرام. فهل يجوز هذا؟

٢. ذكر حسن بن جمال بن أحمد الريكي أن البيعة تضمنت شرط التوريث في الإمامة السياسية والدينية، وهو ما يدل عليه قول الشيخ ابن عبد الوهاب: "أريد منك عهدا على أنك تجاهد في هذا الدين، والرياسة والإمامة فيك وفي ذريتك بعدك، وأنّ المشيخة والخلافة في الدين فيّ وفي آلي من بعدي أبدا". وتوريث الحكم يفهم أيضا من رواية ابن بشر التي ورد فيها قول الشيخ: "فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك". وهو ما حصل بالفعل. قال ابن بشر: "ثم دخلت السنة التاسعة والسبعون بعد المائة والألف، وفيها توفي الإمام الرئيس والمجاهد في الدين بالعرمرم الخميس محمد بن سعود... وكان ولي العهد بعده ابنه عبد العزيز، فكان إماما للمسلمين وحامي ثغور

---

[19] عن كتاب: كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ص ٥٧ لمؤلف مجهول من مؤيدي الشيخ ابن عبد الوهاب. وقال محقّق الكتاب الدكتور عبد الله العثيمين –في الهامش–: "لعل المقصود بذلك ما ذكره ابن بشر من أن محمد بن سعود اشترط على الشيخ أن لا يتعرضه فيما كان يأخذه من أهل الدرعية من مال كل سنة".

الموحدين"[٢٠]. وقال: "وفيها [أي سنة ١٢٠٢هـ] أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب جميع أهل نجد أن يبايعوا سعود بن عبد العزيز وأن يكون ولي العهد بعد أبيه، وذلك بإذن عبد العزيز فبايعوه جميعهم"[٢١]. وقال: "وأما حسين [ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب] فهو الخليفة بعد أبيه..."[٢٢]. فمسألة التوريث في الإمامة السياسية والدينية من الأمور المعلومة التي لا تخفى على أحد؛ إذ إنّ الحكم في "المملكة السعودية" يتوارثه آل سعود، والمشيخة يتوارثها آل الشيخ ابن عبد الوهاب ولم يشذّ عن هذه القاعدة – حسب علمي – إلا الشيخ عبد العزيز بن باز الذي تولى منصب الإفتاء من سنة ١٩٩٢م إلى سنة ١٩٩٩م ثم عادت المشيخة إلى آل الشيخ. فهل يجوز هذا؟ وهل يقرّ الإسلام نظام وراثة الحكم؟

قال الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي (ت١٤٢٢هـ) في كتابه الإمامة العظمى: "... اجتماع أهل الحل والعقد وأهل الفضل والصلاح وتشاورهم في اختيار الإمام من أروع صور الشورى بين المسلمين، وإن لم يكن هذا هو عين الشورى فماذا يكون؟ وأضيف إلى هذه الحقيقة أن يكون الاختيار أساسه الشورى كان هو رأي عمر نفسه، فقد روى عنه عبد الرزاق في (المصنف) أنه قال: "الإمارة شورى"، وروى عنه بسند قوله: "من دعا إلى إمارة نفسه أو غيره من غير شورى من المسلمين فلا يحل لكم إلا أن تقتلوه"، وروى عنه ولده عبد الله بن عمر أنه قال لأهل الشورى قبل وفاته: "من تأمر منكم من غير شورى من المسلمين

---

[20] عنوان المجد، ج١ ص٩٩

[21] ج١ ص١٦٢

[22] ج١ ص١٨٦

فاقتلوه". وإذا كانت الشورى هي طريقة اختيار الحاكم فإن ذلك يعني أن الأمة يجب أن يكون لها رأي فيمن يتولى شئون الحكم في الدولة الإسلامية، فمسئولية الاختيار راجعة إلى الأمة نفسها، وقد كان حكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك واضحًا حين قرر أن من حاول أن يفرض نفسه أو غيره دون رضا المسلمين المبني على مشاورتهم وجب أن يعاقب عقاب المفسدين في الأرض "فلا يحل لكم إلا أن تقتلوه"... فأبو بكر لم يعهد لابنه من بعده بل عهد إلى عمر، رضي الله عنهم أجمعين، وعمر لم يعهد إلى ابنه بل جعلها شورى بين الستة وجعله من أهل الشورى، وشدد على أنه ليس له من الأمر شيء فلا يتولى الخلافة، وكذلك عثمان لم يعهد إلى أحد من أقاربه، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حين سأله رجل: ألا تعهد يا أمير المؤمنين؟ قال: لا؛ ولكني أترككم كما تركككم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فوجب علينا الاقتداء بهؤلاء الأعلام والسير على نهجهم، وأخذ سنتهم رضي الله عنهم، ومن أجاز العهد للأبناء إنما اشترط رجحان وتيقن المصلحة وأمن الفتنة، وإلا فإن الإمامة لا تُورث وليست حكرًا على عائلة بعينها لا تخرج منها. قال ابن خلدون: (وأما أن يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الأبناء فليس من المقاصد الدينية، إذ هو أمر من الله يخصُّ به من يشاء من عباده، وينبغي أن تحسن فيه النية ما أمكن خوفًا من العبث بالمناصب الدينية، والملك لله يؤتيه من يشاء)، وشدّد ابن حزم رحمه الله على هذا الأمر فقال: (لا خلاف بين أحد من أهل الإسلام في أنه لا يجوز التوارث فيها)"[٢٣]. وأخرج الحاكم في المستدرك عن محمد بن زياد

---

[23] نقلا عن الموقع الالكتروني للشيخ: www.al-oglaa.com.